

حوار أم صدام تعاون أم خصام

إعداد الدكتور
عبد الله بن بيه

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

«حوار أم صدام، تعاون أم خصام»

ورقة مقدمة لمؤتمر مكة المكرمة «الدورة الثالثة»

إننا في مطلع هذا القرن على موعد مع تاريخ لم نخطط له وليس في وسعنا أن نتنبأ بنتائجه ولعلنا لم نفهم طبيعته بعد فهل يعيد التاريخ نفسه بأسماء أخرى لعل ما جرى في القرن الماضي يسلط أضواء على ما يجرى أو سيجرى في القرن الحالي : لقد كان القرن ١٤ الهجري - القرن العشرون الميلادي - حافلاً بالحركة العنيفة من طرف العالم الغربي تجاه العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص وهي حركة يمكن تسميتها غزواً، استعماراً، احتلالاً بالوسائل العسكرية أسبابه مزيج من النزعة العنصرية والمطامع الاستعمارية إن الوضع يشبه إرهابات القرن العشرين.

ففي سنة ١٩٠٠-١٩٠١م كانت أسبانيا وفرنسا توقعان اتفاقية تقسيم الصحراء الغربية الواقعة بين موريتانيا والمغرب ١٩١٢م تعلن الحماية على المغرب وكانت طبعاً الجزائر مستعمرة منذ أواسط القرن ١٩م وتونس كانت محمية.

١٩١٦م توقع معاهدة سايكس بيكو لاقتسام الدول العربية.

١٩١٧م يحتل البريطانيون بغداد والجنرال النبي يحتل القدس.

١٩١٧م وعد بلفور بإعطاء وطن لليهود في فلسطين - تصدر وزارة الخارجية بياناً مقتضياً للاعتذار عن هذا الوعد في هذه السنة ٢٠٠٢م - كم كلف ذلك الوعد وما زال يكلف؟.

١٩١٨م انسحاب الخلافة العثمانية من البلاد العربية تحت ترويع

الغربيين.

١٩٢٠م الغربيون ينكثون بوعدهم بالاستقلال للعرب فيحتل الفرنسيون

سوريا ويطردون فيصل بن الحسين ويحتلون لبنان.
في نفس السنة البريطانيون يعلنون ما يسمى بالانتداب على فلسطين
والأردن والعراق.

١٩٢٣م يعلن طي صفحة الخلافة الإسلامية العثمانية.
١٩٤٨م تعلن دولة إسرائيل في فلسطين بمباركة غربية وروسية لتتولى
مهمة الاعتداءات والعدوان في المنطقة.

فهل نحن على موعد مع إعادة أحداث وسيناريوهات ذلك القرن بطبعة
جديدة وبأسماء جديدة وبأسباب معلنة غير تلك الأسباب القديمة.
أن يكون معتوه أو سياسي أو حاكم يرتكب حماقة يستحق كل هذا
التجيش في الجو والبحر والبر والحشد والحشر العسكري والطوفان
الإعلامي المزبد الذي يشوه التاريخ ويتهم الأحياء والأموات ويتهم الدين
الإسلامي ونبيه الكريم كما فعل جيري فالويل والقس بات روبرتسون
وفرانكلين أقرهام.

الحماقات ترتكب بسوء تقدير لكن الردود مدروسة.
لقد لطم باي الجزائر قنصل فرنسا بالجزائر فاحتلت فرنسا الجزائر
مائة وثلاثين سنة ولم تخرج إلا بعد ملايين الضحايا وتركت آثاراً عميقة
وجراحاً مثنخة في الجزائر وغيرها.
إن البايات الذين لا يقدرّون العواقب كثر بكل أسف في أمتنا وهم
يلطمون أمتهم ويلطمون غيرهم فيجرون عليها الدمار.

لقد ارتكب عمل إرهابي شنيع في أمريكا غريب يشبه أفلام الخيال
ورغم ما قيل وما يقال من أن مرتكبوه مسلمون فقد تبرأ المسلمون من هذا
العمل الذي لا يخدم إلا أعداء هذا الدين.
ورغم الحقيقة الساطعة بأن العالم الإسلامي لم يوافق على أي عمل
إرهابي ضد أمريكا ولا ضد أي بلد آخر لأن المسلمين هم ضحايا إرهاب
دائم في فلسطين وغيرها.

فإن الألة الإعلامية التي تمهد لإطلاق الصواريخ ظلت مصررة على اتهام المسلمين والدين الإسلامي نفسه بالعنف والإرهاب لتحكم عليهم بلا محاكمة وكما يقول المثل العربي : رميتي بدائها ونسلت. أو يقول المثل الفرنسي : من أراد أن يعدم كلبه فليتهمه بالكلب.

بالتأكيد إن المسلمين ليسوا كلاباً وليسوا مصابين بداء الكلب إلا في تصور جوقة إعلام الحرب.

كل ذلك العبء التاريخي والعنصرية الحضارية والأسئلة الكبرى التي يطرحها الوضع عن كدر الحرب وآمال السلام الحوار لهذا سنتحدث عن :

- مفهوم الحوار
- مفهوم الصدام وفلسفته ونقضها .
- ضرورة الحوار في الظرف الحاضر.
- انفتاح الحضارة الإسلامية للحوار.
- موضوعات الحوار.
- مقترحات.

تعريف الحوار:

فما معنى الحوار ؟ إنه فعال من فاعل مصدر من حاوره حواراً ومحاورة وهو كلام لا يكون إلا بين إثنين فأكثر ويرادفه الجدل.

وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق اللفظين على معنى واحد ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف: ٣٤].

والحوار حديث بين طرفين للعثور على أرضية مشتركة، توصل من خلالها إلى أهداف محددة قد تكون هذه الأرضية قيما مشتركة كإقامة العدل ونبد الحروب وحقن الدماء كما كانت مفاوضات الحديبية وقد تكون تحقيق مصالح للطرفين من تبادل المنافع وقد تكون من أجل إقناع أحد

الطرفين بوجهة النظر الأخرى عن طريق وسائل الإقناع.
والحوار قيمة إنسانية إذ «أن قيمة البشر كما يقول أفلاطون تكمن في قابليتهم للإقناع وذلك بإظهارهم على مختلف الوسائل البديلة للحرب».
«والحضارة هي المحافظة على النظام الاجتماعي بواسطة الإقناع»
(وايتهد).

والحوار في الشرع له أصله في الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى:
﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].
وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].
وأما من السنة فإنه صلى الله عليه وسلم قد حاور قريش في صلح الحديبية حيث وصل معهم إلى اتفاق معروفة فصوله وبذلك ندرك أن موضوع الحوار قد يكون دينياً وقد يكون دنيوياً في خدمة الدين والأمة فإذا كان الحوار مع أهل الكتاب الذي نزلت فيه سورة آل عمران دينياً عن وحدانيته سبحانه وتعالى وإثبات كون عيسى عليه السلام مخلوقاً لله تعالى:
﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].
فإن الحوار مع مشركي مكة كان موضوعه الهدنة وتوقيف الحرب وحرية الوصول إلى الحرم.

هذا أصل الحوار بشقيه حوار العقيدة وإظهار محاسن الدين وحوار لتحقيق مصالح وتأمين الطرق والسبل.

وكانت فلسفة الصدام تقوم على افتراض أن التنوع الحضاري لا يمكن أن يكون مقبولاً وبالتالي فهي في جوهرها إلغاء للآخر ثقافياً وفكرياً وقيماً إن لم تقلها إنها إلغاء له جسدياً وفي مواجهة هذه العنصرية المجنونة التي تحقق اليوم على أرض الواقع نشط مفهوم آخر هو مفهوم حوار الحضارات.

- الصدام الحضاري: النظرية المشروع:

وإذا كان هانتغتون أعلن ما يسمى بنظرية «الصدام الحضاري» فإن كثيراً من الكتاب شككوا في قيمتها العلمية لأنها تفقد كل أسس النظريات

الفلسفية بل رأى البعض أنها لا تعدو صياغة تبريرية لمشروع أمريكي عالمي وبخاصة في أرجاء المنطقة الإسلامية الممتدة من تخوم آسيا إلى أدغال أفريقيا وضواحي أوروبا حيث ركز مثاله على «النزاع بين الحضارتين الغربية والإسلامية» قائلاً: إن النزاع وفق خط الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمر منذ ١٣٠٠ سنة فيبعد صعود الإسلام توقف اكتساح الإسلام للغرب والشمال في عام ٧٣٢ ومن القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر حاول الصليبيون بنجاح مؤقت جلب المسيحية والحكم المسيحي إلى الأراضي المقدسة.

ومن القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر قلب الأتراك العثمانيون الميزان ومدوا سيطرتهم على الشرق الأوسط والبلقان واستولوا على القسطنطينية وحاصروا فيها مرتين (.....).

واستشهد هانتغتون بمقولة برنارد لويس التالية : إننا نواجه مزاجاً وحركة يتجاوزان كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تنتجها ولا يقل هذا عن كونه صداماً بين الحضارات ربما غير عقلاني لكن لا شك في أنه رد فعل تاريخي لخصم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني والتوسع العالمي لهما معاً.

وأنبه القارئ إلى أنه برنارد لويس يهودي أمريكي يعتبر مستشرقاً يقدم آراءه للإدارة الأمريكية فهل تتوقع منه أن يكون موضوعياً؟ ولا يحتاج إلى تعليق. هل يمكن اعتبار هذا الكلام علمياً لتأسيس نظرية فلسفية أم أنه من نوع الوشاية والإيعاز والكهانة التي تحاول تحقيق نفسها بنفسها عن طريق الادعاء بالحييدة والعلمية.

فإذا كان النزاع والحروب علاقته الحضارة فلماذا يحصد الغرب أكبر حربين في قرن واحد أليست الحضارة الغربية هي نفس الحضارة المسيحية والتي يطلق عليها لويس برنارد «الحضارة اليهودية المسيحية» وهو وصف يخون كاتبه الذي يحاول إثبات وشائج القربى بعد أن مضت قرون طويلة

واليهودية منبوذة في أوروبا النصرانية إلى حد أن جزر بريطانيا كانت محرمة على اليهود طيلة ثلاثة قرون وخمسين سنة كما يقول المؤرخ البريطاني توماس أرنولد هل تغيرت اليهودية أم أن المصالح أساس العلاقات.

وقد نبه جين كيركباتريك - وهو استاذ كرسي أمريكي في جامعة جورج تاون - في تعليقه على مقال هانتغتون ونظريته هذه قائلاً : ففي القرن العشرين على الأقل وقعت أشد المنازعات عنفاً داخل الحضارات حملات التطهير التي قام بها استالين وعمليات الإبادة التي قام بها بول بوت والهولوكوست النازي والحرب العالمية الثانية).

ووجه كيشوري محبوباني نائب وزير خارجية سنغافورة في تعليقه على هانتغتون سؤالاً جديراً بالاهتمام وهو : إذا كانت الحضارات الأخرى تحيط بالغرب منذ قرون كثيرة فلماذا تشكل خطراً عليه وتحدياً الآن فقط؟.

إنه سؤال محرج بالتأكيد لنظرية «صدام الحضارات».

ومن الواضح إذا أنه لا توجد حرب أبدية بين الحضارات كما لا يوجد سلام أبدي بين أبناء البشر حتى ولو كانوا أبناء حضارة واحدة.

إن الحقيقة هي أنما يجري هو خصومه بين ظالم ومظلوم بين مضطهد ومضطهد وذلك ما يفر منه هانتغتون محملاً المسؤولية لاختلاف الحضارات حيى يريح ضمير سماصرة الحروب. لأن جعل موضوع لخصومه في نصابه وإبرازه على حقيقته باعتبار وجود ظلم تاريخي وقع على مجموعة بشرية سواء كانت عربية ومسلمة أم مسيحية هبت للدفاع عن نفسها يفضح الكيان الصهيوني.

إن هذه الحقيقة الواضحة لتفسير هذه الحروب بالتأكيد تحرج الصهاينة ولهذا كان التزييف المتعمد والتتظير الفارغ لتبرير الحرب على العرب والمسلمين يأخذ هذا البعد المأساوي غير المسبوق وبما تقدم ندرك أن النظرية «الكهانة» لهانتغتون إنما هي إيعاز لشن حروب لا نهاية لها على عالم إسلامي ممتد على القرات الخمس وذا كثافة سكانية في القارات الثلاث إنه

في طرحه التكهني أدخل الحضارة الكونفوشسية إلى «قوى الشر» إلى جانب الحضارة الإسلامية ولكن لحسن حظ تلك الحضارة أن الصينيين وحتى الكوريين يملكون أسلحة نووية وصواريخ تقدر على حملها .
فنظرية صدام الحضارة لا تزعجهم كثيراً .

هل هناك ضرورة للحوار في الوقت الحاضر بين الإسلام والغرب؟
نعم إن الحوار أصبح ضرورة وواجباً مقدساً فقد بلغ السيل الزبى فإذا كان الحوار يفترض وجود إشكاليات يراد التغلب عليها أو عقبات يرجى تجاوزها أو سوء فهم تحاول إزالتها فإن الجواب لا بد أن يكون إيجابياً والحوار ضرورة في هذه المرحلة من التاريخ ليس فقط لوجود سوء فهم تاريخي لم تستطع لغة الاتصالات ووسائل المواصلات أن تمحوه من الذاكرة يضاف إليه حوادث عارضة تتهم فيها أطرافاً تنتمي إلى الإسلام على الرغم من أنها تتم بدون استشارة ولا إشارة من الغالبية العظمى من المسلمين .
وهكذا يضاف إلى السخيمة التاريخية المتراكمة ركام حوادث تحولت إلى أحداث مدوية فصدق كهان صدام الحضارة ظنهم وتحولت الكهانة إلى كارثة فما هو أصل سوء الفهم هذا أو سوء الظن ذلك؟

فلنقل أولاً: إن الاحتكاك الطبيعي بين الجيران وهذا الاحتكاك قد يتحول إلى معارك حول «البحيرة» البحر الأبيض فكان كل من الجيران يجتاز البحر هذا الحجاز المائي أو الواصل المائي إلى الضفة الأخرى فكان ما قدره بعضهم ٣٠٠٠ معركة كبرى .

وهناك سبب آخر انتبه له بعض الكتاب الغربيين - مارسل بوزار- وسماه بعقدة الأقارب باعتبار أن الأقارب هم أقل الناس تفاهما فالمسيحي يجد في الإسلام أشياء كثيرة تذكر بدينه وأفكارا قريبة جداً من أفكاره .
فإذا كان المسيحيون أظهروا تسامحاً إزاء الأديان السابقة أنبياء اليهود فقد قابلوا الإسلام الذي ظهر لاحقاً بالرفض المطلق فقد اعتبروه انحرافاً للنصرانية وقد كانوا يظنون أن بإمكانهم تشويه الإسلام وأنشأوا لذلك

الاستشراق الذي كان يحاول أن يعرف الإسلام معرفة جيدة ليحاربه محاربة جيدة كما يقول بوزار. وإذا كنا في شك من النوايات المبيتة ضد الإسلام في الدراسات الاستشراقية فما علينا إلا أن نراجع خطاب أرنست رينان الذي ألقاه في كوليغ دي فرانس في ٢٣ فبراير ١٨٦٢ حيث يقول: في هذا الوقت المناسب إن الشرط الأساسي لتمكين الحضارة الأوربية من الإنشاء هو تدمير كل ما له علاقة بالسامية ألحقت تدمير سلطة الإسلام التيوقراطية لأن الإسلام لا يستطيع أن يعتبر إلا كدين رسمي وعندما يختزل إلى وضع دين فردي فإنه ستقرض هذه الحرب الدائمة الحرب التي لن تتوقف إلا عند ما يموت آخر أولاد إسماعيل بؤساً أو يرغمه الإرهاب على أن ينتبذ في الصحراء مكاناً قصياً.

إن الإسلام هو التعصب إن الإسلام هو احتقار العلم، هو القضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي المرعبة، إنه يضيق الفكر الإنساني، يغلقه دون كل فكرة دقيقة، دون كل عاطفة لطيفة، ودون كل بحث عقلائي.. إلى آخر كلامه.

إنه تصريح لا يحتاج إلى تفسير وإن كل تعقيب من شأنه إضعاف النص كما يقول المستشرق الفرنسي المنصف فنسان مونتاي (يراجع كتاب الإسلام اليوم - منشورات اليونسكو)

ومع الأسف فإن روااسب هذا الحقد أو " الجهل " لنسميه باسمه ما زالت في الكتب المدرسية في الغرب لتلقن الأجيال دائماً تلك الصورة المشوهة عن الإسلام.

هل يكون من المناسب أن نطلب من أمريكا ودول الغرب أن تراجع مناهجها التعليمية؟

كما أن أعمالاً مأساوية وعبثية في نفس الوقت يقوم بها أشخاص ينتمون إلى الإسلام - إذا صح أنهم قاموا بها - دون أي توكيل من سلطة دينية أو زمنية تضاعف من سوء الفهم لتوصله إلى الذروة وتخرج نظريات

السوء من خزائن كهان الفتن إلى ذرى المنابر السياسية لتتحول إلى مكاتب وزارات الدفاع فتصبح أساطيل تمخر البحار وطائرات تسبح في الأجواء وصواريخ تتحرى الإطلاق وأصابع على الزناد تزرع الدمار- أطلقت الصواريخ بالفعل وزهقت الأرواح البريئة والمتهمة ولم تصل القصة إلى نهاية بعد - إذا كانت هذه اللوحة السوداء الحمراء هي التي تبرز الآن فإن الحوار ضروري لانقاذ أنفسنا وإنقاذ الغرب من نفسه.

ولعل كل العقلاء والحكماء في كل الحضارات يتعاونون على إنقاذ البشر من المثاسي.

لهذا فإن الحوار واجب ونحن نقدر - على الرغم من عبء الماضي وثقل الحضار وظلمة المستقبل - إن التفاهم ممكن على مستوى المبادئ وفي الميدان العلمي والواقعي للمصالح المتبادلة إذا توفرت الإدارة والنوايا الحسنة.

فما هو موقف الإسلام من الحوار وما الذي يقدمه وما هو موقفه من الحضارات الأخرى ؟.

إن الحوار مفتوح بنص القرآن قال تعالى في سورة النحل يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥].

وهذه الآية لم تفتح باب الحوار على مصراعيه بل وجبت ولوجه ولهذا فسنوقف معها وقفة.

إذ ليس الحوار إمكانية متاحة للأمة الإسلامية فقط بل إنه من واجبات هذه الأمة وهو مسئولية ملقاة على عاتقها لأن رسالتها في هذا العالم تقوم على الانفتاح على الغير والتفاعل معه ولهذا جاء الأمر الإلهي للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يبدأ بالحوار المعبر عنه بالمجادلة.

موضوعات مرشحة للحوار

إن أهم الموضوعات التي تقذف بها دعاية خصوم الإسلام إلى الواجهة هي:
١- العنف الإسلامي وهو موضوع يدور حول مفهوم الجهاد في الإسلام

وحول الممارسات العنيفة في التاريخ وفي الحاضر وفي هذا الصدد فإن توضيح المفاهيم وغرلة المصطلحات وإجراء المقارنات وتقديم الوقائع التاريخية الناصعة أمر في غاية الأهمية ومن الغريب أن بعض الفئات المتحاملة إذا أوضحت لهم ما جاء في التوراة في شأن الحرب وما جاء في سفر «العدد» من أن موسى عليه السلام يؤنب جيشه لأنهم لم يقتلوا النساء والصبيان وما جاء في كتابهم من قتل داود عليه السلام للآلاف وغيره النبي يوشع منه لأنه لم يقتل إلا ألفاً واحدة وما جاء في أنجيل متى منسوباً إلى عيسى عليه السلام من أنه قال: ما جئت لألقي سلاماً على الأرض وإنما سيفاً.

يقولون هذه لها سياقاتها التاريخية وظروفها أما آيات الجهاد في القرآن الكريم فهي مبتورة عن السياق.

وإذا تحدثنا عن الممارسات التاريخية فإن الصليبيين لما دخلوا القدس الشريف كما يقول المؤرخون الغربيون أنفسهم قتلوا عشرات الآلاف من المسلمين واليهود وأن عمر رضي الله عنه لما دخلها لم يشهر سيفاً على المسيحيين وقدم إلى أهلها العهدة العمرية التاريخية.

وإذا قدمت أمثلة من ممارسات الحاضر في فلسطين قالوا أولئك إرهابيون إنه المنطق الأعوج الأهوج ومع هذا فإن القرآن الكريم يعلمنا أن لا نفقد صوابنا عندما يجري ظلم في حقنا بل نتمسك بالعدل والاعتدال والحق والامتثال ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فإذا قامت ظائفة منا باعتداء أخطأ الزمان والمكان الأهداف فعلياً أن لا نبرر ذلك بمظالم سبيل ردها ومجابتها أهداف غير تلك ومكان وزمان آخر.

٢- الموضوع الثاني : حقوق الإنسان وقضايا المرأة :

إن هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي تدندن حولها أبواق مبرري الحروب وهي دعوة تذكرنا بمقولة تمدين الشعوب البرابرة في القرن الماضي لتبرير مطامع الاستعمار.

الحوار في هذا الموضوع يجيب على جملة من القضايا المبدئية وهي :
أننا أمة لها شريعة سماوية وهذه الشريعة كفلت حقوق الإنسان الأساسية
والإضافية قبل أن يعرفها الغرب بقرون عديدة ونصوصها ليست غائبة ولا
مجهولة.

- إن تشريعنا يختلف في مصدرها الإلهي من الكتاب والسنة مع
الأنظمة الغربية الوضعية البشرية المصدر.

- إن المرأة محفوفة الحقوق موفورة الكرامة مرموقة المكانة منذ أن نزل
الوحي السماوي معلنا ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً
طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧].

وفي الحديث: النساء شقائق الرجال.

ومن يستمع في هذه الأيام إلى المقترحات - الأوامر. المقدمة من بعض
الجهات الغربية إلى العالم الإسلامي يشعر بالهانة فهل المرأة المسلمة بحاجة
إلى «محرر» من وراء البحار حيث تعيش المرأة ظروفاً من الاستلاب الذاتي
والشدوذ النفسي جعلها تقول : إنها ليست امرأة وتحاول أن تكون جنساً آخر
إن لم تكن رجلاً وهو موقف مناف للفطرة ولقانون الوجود وقد قلت ذلك
لوفد من التلفزيون الأمريكي وكان الوفد بقيادة امرأة حيث هبت رئيسة
الوفد الإعلامي لتقول إنها شخصياً لا تريد أن تكون رجلاً.

٣- الموضوع الثالث : أهمية احترام خصائص كل أمة وسيادتها داخل
حدودها وطريقتها في العيش ونظمها التي رضيت والتي لا تلحق أذى بأحد
والبديل عن ذلك هو زعزعة الاستقرار والنزاع الطويل الذي سيضر
بالضعيف كما أن القوي ليس بمنجاة من الضرر.

إذا وجدت ممارسات في العالم الإسلامي منافية لمراعاة حقوق الإنسان
فإن ذلك لا يمكن أن يحسب على الإسلام من أن الخرق السافر لحقوق
الإنسان البدهية يمارس في الغرب اليوم.

المقترحات :

١- ضرورة مواجهة العنصرية الغربية الجديدة من خلال تحالف ثقافي بين المثقفين المسلمين والمثقفين الغربيين التقدميين الذي يجاهرون بأرائهم في بلادهم من أجل إعادة النظر في الخطاب العنصري الجديد في الغرب كثير من المنصفين وإذا كنا نرفض موقف التعميم الذي يمارسه بعض الغربيين فعلياً أن لا نقع في نفس الخطأ .

٢- اكتشاف الآفاق لحوار طويل المدى .

٣- في خطوات مثيرة للجدل رصدت الولايات المتحدة تسعة وعشرين مليون دولار لتعليم الديمقراطية وترقية المرأة وبالتالي يعرف الناس على المبادئ الأمريكية .

ومهما كانت الانتقادات الموجهة ضد هذه الخطة فالبعض يعتبرها نكتة في وقت تنفق المليارات للحرب والبعض اعتبر أن الأولى أن يساعد الفقراء إلا أنني من جهتي كنت أود أن تقدم هذه الأموال في مشروع تعارفي حوارى للتعرف على ما عند المسلمين من الأفكار والآراء ومحاولة التعامل معها و لكن ذلك لم يقع ومع ذلك فهي فرصة لنتقدم نحن بمشروع لنقدم للأمريكيين الذين في التعرف على مبادئنا الدينية وثقافتنا وحبنا للخير والسلام ورؤيتنا للكون لكي يشاطرونا رؤيتنا كما يطلبون منا أن نشاطرهم رؤيتهم .

عندما نقول هذا فإن الأمر لا يتعلق بدعاية ضد المشروع الأمريكي ولكن بضرورة حيوية يجب أن تكون في طليعة برنامجنا الحوارى وهي تقديم أنفسنا للآخر في انفتاح كامل واستيعاب .

٤- وفي الخطوة الثانية البحث عن المشترك بيننا وبين الغرب ومحاولة توظيف هذا المشترك في تأسيس علاقة تؤكد نتائج الحوار فمن هذا المشترك الكرامة الإنسانية وكونها قيمة مشاعة بين البشر والتأكيد على أن إهدار هذه الكرامة بالنسبة لجنس أو أهل ديانة إنما سيؤدي حتماً إلى

تدمير البشرية.

٥- حق البشر في الاختلاف والدفاع عن التنوع الحضاري والثقافي والباري جل وعلا خلق البشر والكون بألوان (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (ومن الجبال جدد بيض ..) وكان الكاتب الأسباني جونز أليس لوباز مصيب عندما قال إذا كان التنوع البيولوجي مرغوباً فإن من الواجب أن نحافظ عليه في مجال الثقافة والسياسية والاجتماع.

إن هذا التنوع إذا أحسن التعامل معه سيكون مصدر ثراء وتكامل.

٦- إنشاء مراكز للحوار المستمر تدرس آلياته وتستكشف سبله وتطور وسائله وتقوم بنتائجه على ضوء مؤشرات موقف الرأي العام في البلاد المعنية.

٧- عقد ندوات منتظمة في أوروبا وأمريكا والعالم الإسلامي.

٨- إقامة علاقة دائمة مع المرجعيات الدينية والاجتماعية والسياسية ومنظمات حقوق الإنسان في الغرب لتوضيح الصورة.

٩- وأخيراً : فإن من الأهمية بمكان امتلاك لغة الحوار والقدرة على الاقتناع شكلاً ومضموناً لهذا فإن معرفة ثقافة القوم وعقليتهم وخلفياتهم الفلسفية والفكرية أمر ضروري لتوظيف كل ذلك في صالح الدفاع عن أمتنا. إن الحجة القوية البليغة لها وقع في النفوس قد يكون أشد من وقع السلام قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

خاتمة: مسئوليتنا تجاه أنفسنا «إن لنفسك عليك حقاً» إن على المسلمين في هذه الفترة العصيبة والحقبة الرهيبة:

(أ) أن لا يفقدوا ثقتهم بالله تعالى ثم بقدرتهم الذاتية على النهوض والتحدي والمقاومة ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

(ب) أن نتبته لسنن تداول الحضارة والقوة بين الناس ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لنعي أسباب قوة ومنعة الأمم وأسباب الضعف والخور.

(ج) أن نحافظ على تماسك الجبهة الداخلية وتقوية وحدتنا في أوطان الإسلام لأنه بدون هذا التماسك يكون بأسنا بيننا شديد وتنتهي المعركة بهزيمتنا لأنفسنا وبالفشل الذريع لأمتنا ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] قوتكم وجماعتكم وهيبتكم.

ولإيضاح هذه القضية يجب أن نتذكر بأنه في أيام الفتن وهيجان العواطف يطفح الكيل فيوجه كثير من الناس وربما كان ذلك بجهل للواقع وربما كان للمزايدة والوصول إلى أهداف غير نبيلة.

الانتقاد لأولياء الأمور وتحميلهم كل المسؤولية دون تحليل للإمكانات المتاحة وكأن هؤلاء المسئولون يحاولون بكل ما أوتوا من قوة الحد من الخسائر فيرى فيهم الغوغاء شياطين على حد قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : أراهمني الباطل شيطاناً . فتتقلب الأمة على نفسها وتسوء الظنون وتروج الشائعات ويصدق العدو ظنه وتنجح مكيدته وينشب الاقتتال الداخلي وهل هناك ما يتمناه العدو أكثر من ذلك.

إن علينا أن نكون يقظين وحذرين في نفس الوقت من الوقوع في فخ الفتنة.

- وحدة الأمة : على الشعوب الإسلامية أن تتمسك بأهداب وحدة تستعلى على العصبية القومية والخلافات المذهبية والنزعات السياسية والمصالح الأنانية وتستعصي على معاول الهدم.

- على الدعاة والعلماء أن يحصنوا الأمة ضد داء الاختلاف وأن يبصروا شبابها بأهمية درء المفسد و جلب المصالح وترتيب سلم المصالح.

علينا أن لا نتوقف عن العمل النافع والانتاج في شتى المجالات الاقتصادية والإدارية بل علينا أن نضاعف الجهود في شتى المجالات حتى تكون المحنة منحة وأن نتمسك بديننا وقيمنا وأصالتنا في الوقت الذي نحاور فيه الغير.

كل هذه الشروط لنجاح الحوار والثبات في ساحة الصدام المفروض.
فمن لم يتمسك بدينه وقيمه ليس له ما يبذل ولا يستطيع أن يحصل
على مكسب.

وفي النهاية فيجب ألا يغيب عن بال المحاور المسلم أنه على حق لا
يشوبه ويقين لا يلبسه شك وهدى لا تعريه ضلالة.
ومع كل ذلك فإنه مستعد للتعايش منفتح على تجارب الآخرين.
والله ولي التوفيق.

عبد الله بن بيه
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز
جدة